

تاج العروس من جواهر القاموس

وكان ابن دُرَيْدٍ يَرُدُّ هذا وَيَقُولُ : مَنْ شَاهَدَ الضَّبْعَ عِنْدَ حَيْضَتِهَا فَيَعْلَمُ أَنَّهَا تَحِيضُ ؟ وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنَّهَا تَكْشُرُ لِأَكْلِ اللُّحُومِ . وَهَذَا سَهْوٌ مِنْهُ فَجَعَلَ كَشْرَهَا ضَحِكًا وَقِيلَ : مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَسْتَبْشِرُ بِالْقَتْلَى إِذَا أَكَلَتْهُمْ فِيهِمْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَ هَرِيرَهَا ضَحِكًا وَقِيلَ : أَرَادَ أَنَّهَا تُسَرُّ بِهِمْ فَجَعَلَ الشُّرُورَ ضَحِكًا لِأَنَّ الضَّحِكَ إِذَا زَمَّ مَا يَكُونُ مِنْهُ كَتَسْمِيَةِ الْعِنَبِ خمرًا وكذلك أَنْكَرَهُ الْفَرَّاءُ وَقَالَ : لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ ثِقَةٍ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَسَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الْحَامِضَ يَسْأَلُ أَبَا الْعَيَّْاسِ عَنْ قَوْلِهِ فَضَحَكَتْ أَي حَاضَتْ وَقَالَ : إِذَا زَمَّ قَدْ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ فَقَالَ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَالتَّفْسِيرُ مُسْلَمٌ لِأَهْلِ التَّفْسِيرِ فَقَالَ لَهُ : فَأَنْتَ أَنْشَدْتَنَا لِتَأْبِطَ شَرًّا .

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هَذَا يَلِي . . . وَتَرَى الذُّئْبَ بِهَا يَسْتَهْلِكُ فَقَالَ أَبُو الْعَيَّْاسِ : تَضْحَكُ هُنَا تَكْشُرُ وَذَلِكَ أَنَّ الذُّئْبَ يَنَارِعُهَا عَلَى الْقَتِيلِ فَتَكْشُرُ فِي وَجْهِهِ وَعَيْدًا فَيَتْرُكُهَا مَعَ لَحْمِ الْقَتِيلِ وَيَمُرُّ وَقَوْلُهُ : يَسْتَهْلِكُ أَي : يَصْرِحُ فَيَسْتَعْوِي الذُّئْبَ إِلَى الْقَتْلَى وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : سَأَلْتُ أَبَا حَاتِمٍ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ وَقُلْتُ لَهُ : زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ تَضْحَكَ : تَحِيضُ فَقَالَ : مَتَى صَحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ الضَّبْعَ تَحِيضُ ؟ ثُمَّ قَالَ : يَا بُنْدِي إِذَا زَمَّ مَا هِيَ تَكْشُرُ لِلْقَتْلَى إِذَا رَأَتْهُمْ كَمَا قَالُوا : يَضْحَكُ الْعَيْرُ إِذَا انْتَزَعَ الصَّلْبَانَةَ وَإِنَّمَا يَكْشُرُ وَتَزَعُمُ الْعَرَبُ أَنَّ الضَّبْعَ تَقْعُدُ عَلَى غَرَامِيلِ الْقَتْلَى إِذَا وَرَمَتْ وَهَذَا كَالصَّحِيحِ عِنْدَهُمْ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : رُوِيَ أَنَّهَا ضَحِكَتْ لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ قَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ اضْمُمْ لِي لُوطًا ابْنَ أَخِيكَ إِلَيْكَ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنََّّهُ سَيَنْزِلُ بِهِؤْلَاءِ الْقَوْمِ عَذَابُ فَضَحِكَتْ سُرُورًا لِمَا أَتَى الْأَمْرَ عَلَى مَا تَوَهَّهَتْ قَالَ : فَأَمَّا مَنْ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ : إِذَا حَاضَتْ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ وَرَوَى الْأَزْهَرِيُّ عَنْ الْفَرَّاءِ مِثْلَ هَذَا وَقَالَ : إِذَا ضَحِكَتْ سُرُورًا بِالْأَمْنِ لِأَنَّهَا خَافَتْ كَمَا خَافَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ فِيهِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا أَي : فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ فَضَحِكَتْ بِالْبِشَارَةِ قَالَ الْفَرَّاءُ : وَهُوَ مَا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ وَاللَّاهُ أَعْلَمُ بِصَوَابِهِ .

وقيل : هو من ضحك الرُّجُلُ : إذا عَجِبَ والمَعْنَى : أي عَجِبَتْ مِنْ فَزَعِ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْهُ قَوْلُ عَبْدِ يَغُوثَ الْحَارِثِيِّ : .
وَتَضْحَكُ مِنِّْي شَيْخَةٌ عَيْشَمِيَّةٌ ... كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أُسِيرًا
يَمَا نِيَا